رد على شبهات وتساؤلات

******

بقلم الأستاذ الدكتور

خالد كبير علال

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الطالبة السائلة عن الجواب الشافي للشبهات التي وردت إليّ في خطاب وصلني من عندها .

السلام عليكم ورحمة الله ، تجدين الجواب فيما يأتي بحول الله تعالى، وهدانا الله وإياكم إلى الحق المبين وأذهب عنا الوساوس والشكوك والشبهات بالصبر والعلم واليقين، أمين.

من الطبيعي جدا أن يتعرض الإنسان للعوائق والمصاعب في الدنيا لأن الله تعالى لم يخلقه عبثا ولا ليلعب ويمرح وإنما ليعبده وفق شريعته، ولأن سعادته في طاعته لربه. وليتم هذا لا بد من الامتحان والبلاء، هذا أمر ثابت شرعا وواقعا. فهناك أناس يُمتحنون بالأمراض العضوية، وآخرون بالفقر والغنى، وآخرون بالشهوات ، وآخرون بالشبهات والشكوك والحيرة والقلق ، فَيَشُكون في أنفسهم وفي الله، وفي الأنبياء وفي الشريعة والقرآن الكريم. هذه الظاهرة هي أمر طبيعي وعادي لكنها لا تمس إلا قلة من الناس يمتحنهم الله تعالى بها. وهي ظاهرة معروفة قديما وحديثا، وأنا شخصيا التقيتُ بطلبة اصابتهم هذه الحالة، وقرأتُ عن آخرين. فيجب التعامل معها بحكمة وعلم ويقين وصبر ومجاهدة وستزول بإذن الله ولن تدوم، لكن على المُصاب أن يجتهد ليخرج منها سالما غانما مؤمنا بالله قوي الإيمان به ويفوّت الفرصة على الشيطان وأهل السوء . وبعد هذا التقديم نأتي إلى الجواب الموجز والمركز على الشبهات والأسئلة التي أثارتها الطالبة السائلة:

السؤل الأول، قالت السائلة : ((ماهية الله ؟)) .

أقول: إن الله هو الخالق عز وجل المتصف بكل صفات الكمال المطلق من علم وقدرة وقوة وحكمة وجمال وعدل وأزلية وغيرها من صفات الجمال والكمال والتي يُثبتها ويُقرها العلم والشرع والعقل. والله عز وجل لا يشبه مخلوقاته أبدا بذاته ولا بصفاته ، ولا يستطيع المخلوق أن يعرف ماهية وحقيقة ذات الله تعالى لأن المخلوق لا يستطيع إدراك ماهية الخالق بذاته وصفاته، لكنه يستطيع أن يعرفه بصفاته من مظاهر الطبيعة ومن الكتاب الإلهي المنزل، فكل منهما يعرفنا به تعريفا صحيحا وحقيقيا. فالله تعالى يُعرف بمخلوقاته وكتبه ولا يُمكن أن نعرف طبيعة ذاته وصفاته لأنه سبحانه ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (الشورى: 11))، و((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (الأنعام : 103)). وهذا معروف لدينا حتى مع المخلوقات فنحن البشر نتعامل مع الجاذبية، والذرة، والإلكترونات والبروتونات مع أننا لم نرها ولا لمسناها ولا عرفنا حقيقتها، وإنما نتعامل معها

ببعض صفاتها وآثارها، ولو حاولنا معرفة كنهها ما وصلنا إلى ذلك ولا تقدم العلم ولا وظفها الإنسان لمصلحته، فما بالك بالذات الإلهية .

ولذلك فوجود الله ثابت قطعا بمخلوقاته وكتبه المنزلة .من ذلك مثلا أنه من الثابت علما وشرعا أن الكون خُلق من عدم وسائر إلى الزوال حتما ، وبما أنه لا يُمكن عقلا وعلما وشرعا أن يَخلق العدم –وهو عدم- نفسه فيصبح كونا لأن العدم لا شيء، فإن الكون ليُخلق فلا بد له من خالق يخلقه وإلا لن يظهر. فلابد للكون من خالق خلقه وهو الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب. فوجود الله عز وجل أمر قطعي حتمي بدليل العلم والعقل والشرع . وهذا يعني أن ادلة وجود الله كثيرة وقطعية لكن الذي ينكر وجود الله ليس عنده ولا دليل واحد صحيح يثبت به عدم وجود الخالق، وليس عنده إلا الشبهات والظنون والتخمينات وهذه ليست أدلة ولا قيمة لها في ميزان العلم والشرع والعقل .ولذلك وجدنا الله تعالى عندما أشار إلى الملاحدة وأمثالهم ذكر بعض شبهاتهم وحكم عليها بعدم العلمية وألحقها بالظنون فقال: ((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)(الجاثية : 24)). فلا قيمة لشبهات ومزاعم الملاحدة لأنها من الأهواء والظنون وليست من العلم في شيء. وهذا أمر ثابت قطعا وقد تأكدت منه عندما نقدت الفكر الإلحادي في كتابي: نقد العقل الملحد ، كيف يستدل؟، وبماذا يستدل؟،ولماذا يُلحد؟[1] .

وفي مقابل ذلك نجد المؤمن بالله يكفيه ليثبت وجود الله أن يقول: أنا موجود فالله موجود، لأني مخلوق ولم أخلق نفسي ولا خلقتُ الكون ، ولا الكون خلق نفسه. وهذا جواب منطقي قطعي، لكن المنكر لوجود الله لا يستطيع أن يقول ذلك، ولن يستطيع تقديم أي دليل يقيني ولا صحيح ولا راجح يثبت عدم وجود الله. فشتان بين من يؤمن بالله وأدلته من العقل والعلم والشرع وبين من ينكره وليس عنده أي دليل صحيح من علم ولا عقل ولا شرع !!.

ذلك على مستوى الدليل العلمي والعقلي والشرعي اليقيني، وأما على مستوى الاستدلال بمصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة فيبقى أيضا الدليل الإيماني هو الصحيح والأولى والأنفع للإنسان . فهب مثلا لو فرضنا جدلا أن نسبة صحة دليل الإيمان بالله يمثل 50 بالمئة او أقل أو أكثر ، وتُمثل صحة دليل الإلحاد 50 بالمئة او أقل أو أكثر . ففي هذه الحالة يكون الإيمان بالله هو الأصح والأولى والأنفع لأن المؤمن بالله لا يخسر شيئا فيعيش سعيدا في الدنيا وفي الآخرة فإن وجد الله حقا فهو سيسعد في الحياة الأبدية في الجنة وإن لم يجده فلن يخسر شيئا. لكن الملحد أو الكافر بالله فإنه سيعيش قلقا مضطربا في الدنيا وخائفا قلقا مضطربا على مستقبله حتى وإن تظاهر بخلاف هذا، ثم عندما يموت إن وجد الله فقد خسر الدنيا والآخرة، وإن لم يجده فلن يربح شيئا من إلحاده ويكون مصيره الزوال. وهذا الاستدلال أشار إليه القرآن الكريم أيضا ووظفه في الدعوة إلى الإيمان بالله ودينه، فمع أن القرآن استدل على وجود الله بخلق الكون والإنسان وبالعقل أيضا كقوله سبحانه: ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ)(الطور:35- 36))، فإنه أيضا استدل بدليل الأولى والأخير والأحسن والأنفع للإنسان بقوله سبحانه:

[1] الكتاب منشور إلكترونيا ومتوفر في عدة مواقع من الشبكة المعلوماتية، منها موقع صيد الفوائد .

((وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيماً)(النساء: 39))،و((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)(يوسف: 39)) ،و((يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون (يس: 30)) .

وبذلك يتبين أن وجود الله تعالى ثابت بالأدلة القطعية من العلم والشرع والعقل، وثابت أيضا بأدلة الترجيح والأولى والأنفع والأحسن، لكن انكار وجود الله يفتقد تماما إلى أي دليل صحيح، ولا قطعي، ولا راجح ، ولا مفيد للإنسان، ولا يقوم إلا على الأهواء والظنون والأوهام والخرافات.

لكن تجب الإشارة هنا إلى انه لا يصح أن يقال: نعم إن الله هو خالق هذا الكون بكل ما فيه، لكن من الذي خلق الله ؟، لا يصح طرح هذا السؤال لأنه في غير محله، ويطرحه الإنسان لجهله بطبيعة السؤال ، أو لسوسة من الشيطان أو لعناده . ولا يصح أن يُسأل لأن الله تعالى هو الخالق وليس بمخلوق، ولو كان مخلوقا ما كان خالقا. والمخلوق لن يكون خالقا، والخالق لن يكون مخلوقا. ولهذا وجدنا الله تعالى وصف نفسه في القرآن الكريم بأنه لم يلد ولم يولد، وانه الحي الذي لا يموت، وانه هو الخالق وغيره هو المخلوق، وانه سبحانه هو الأول والآخر. فهو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية. وفي الحديث أن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- قال: ((يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا ،من خلق كذا حتى يقول: من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته))[2].وفي حديث آخر عن أبى هريرة – رضي الله عنه- أنه قال: ((سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : فإذا قالوا ذلك-أي من خلق الله- فقولوا :" الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ من الشيطان))[3]. وهذا الحديث جمع بين الجوابين الاستعاذة للتخلص من الوسوسة، والجواب العلمي للرد على الشبهة.

السؤال الثاني، قالت السائلة: لماذا وُجد السبي في الإسلام ؟.

أقول: أولا، ليس الإسلام هو الذي أوجد السبي عندما ظهر بمكة، وإنما وجده قائما ونظاما عالميا ، ولهذا لا يُمكن للإسلام أن يلغيه ولا يصح أن نطالبه بإلغائه، لأنه ليس من مصلحة الإسلام ولا المسلمين إلغاء السبي . فلا يُعقل ولا يصح أن يُسبى أسرى المسلمين عندما يأسرهم الأعداء ويُباعون في الأسواق ، ولا يقوم المسلمون بسبي الأسرى الكفار عندما يأسرونهم. فيجب شرعا وعقلا معاملة أسرى الكفار بالمثل. لكن من جهة أخرى فإن الإسلام شرّع الفداء، والمن إن وُجد الفداء أو أراد المسلمون أن يمنوا على الأسرى إن كانت عندهم مصلحة شرعية. ومن جهة أخرى فإن الإسلام عندما شرّع للسبي فقد أقره بالعدل والحق وحرم الظلم في التعامل مع الأسرى ووضع قواعد عادلة للتعامل معهم وأدمجهم في المجتمع الإسلامي بحق وعدل، ولهذا وجدنا معظم الذين سباهم المسلمون أسلموا فيما بعد. ومن جهة اخرى فإن الإسلام حث على تحرير العبيد والأسرى بإخراج الزكاة لهم،

---

[2] البخاري: الصحيح، ج 4 ص: 123 ، رقم: 3276 .
[3] أبو داود: السنن ، ج 4 ص: 368 ، رقم: 4724 .

وبمكاتبتهم ليتحرر هؤلاء إن أردوا التحرر. كما أن ظاهرة العبيد والأسرى هي مظهر من مظاهر امتحان الله تعالى لعباده ، لقوله سبحانه: ((وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً)(الفرقان: 20)). فالإسلام ليس هو الذي أوجد الرق والسبي ، فهو قد تعامل معهما بعدل وحكمة وشجع على التخلص من العبودية ولم يحث على العودة إليها.

السؤال الثالث ، قالت السائلة: ((لماذا كل زوجات الرسول جميلات ؟.))

أقول: أولا، هذا القول غير صحيح، وهو زعم يقصد به الطعن في النبي-عليه الصلاة والسلام- بأنه شهواني ويطلب النساء إشباعا لرغبته الجنسية. لا يصح ذلك لأنه لا يوجد دليل صحيح يثبت أن زوجاته كن كلهن جميلات وإنما وهو من اختلاق الأفاكين والكذابين من أعداء الإسلام . ولهذا لا يجب تصديق ذلك لأنه لا يوجد دليل يثبته. والثابت أن زوجات النبي-عليه الصلاة والسلام- كن في معظمهن كبيرات السن وثيبات ولسن أبكارا، وهذا يعني أنه حتى إذا فرضنا جدلا أنهن كن كلهن جميلات فلا شك أنهن قد فقدن أكثر جمالهن لأن من المعروف عادة أن المرأة ما أن تبلغ 35 سنة إلا وتفقد الكثير من جمالها، بل إن بعضهن يفقدن الكثير من جمالهن عند نهاية العشرينات. وليس من زوجات النبي من كانت بكرا إلا عائشة رضي الله عنها. فهل من يطلب الجمال والجنس يتزوجهن كلهن تقريبا ثيبات وكبيرات ؟ . وقد تزوج النبي خديجة وهي أرملة وتكبره ب: 15 سنة فكان له من العمر: 25 سنة، ولها : 40 سنة ، وقد كانت فقدت كثيرا من جمال المرأة . فلو كان يطلب الجمال والشهوة الجنسية ما تزوج امرأة ثيبا وتكبره 15 سنة فهي في مرتبة أمه . فهل يعقل أن شابا يطلب الجميلات يتزوج بامرأة واحدة ذلك حالها، ويبقى معها من طور الشباب حتى يدخل مرحلة الشيخوخة ؟؟. فزواج محمد-عليه الصلاة والسلام- من خديجة دليل قطعي على فساد وبطلان ذلك الاتهام. ولا يصح أن يقال : ربما تزوج بما طلبا لمالها، لا يصح هذا لأن الثابت في سيرة النبي-عليه الصلاة والسلام- زمن زوجته خديجة- رضي الله عنها- انه كان زاهدا محبا للعزلة والتحنف ومحسنا للناس ولم يكن شهوانيا ولا غارقا في الماديات طالبا للشهوات الدنيوية بأموال خديجة ولا بغيرها.

ثانيا، إن الرسول-عليه الصلاة والسلام- بشر كغيره من الناس له رغبته الجنسية أشبعها بطريقة طبيعة بلا إفراط ولا تفريط، بل كان متعاليا عليها في أكثر حياته لكثرة أشغاله وجهاده وتعلق قلبه بالله تعالى. كما أنه كان من الواجب عليه شرعا أن يتعامل مع زوجاته بطريقة شرعية ويعطيهن حقوقهن. ولا شك أن الذي يلبي رغبته الجنسية بطريقة صحيحة ومعتدلة لا عيب فيه ولا يطعن في رجولته، وإنما العيب في الذي يكون عاجزا عن القيام بالعملية الجنسية، فهذا نقص في الرجولة والفحولة.

ثالثا: إن محمدا –عليه الصلاة والسلام- عاش مع خديجة في العهد المكي ولم يتزوج عليها، وعندما ماتت لم يتزوج حتى بعد الهجرة إلى المدينة. وبها تزوج وعَدّد الزواج من أجل الدعوة. ومن يطلب الجميلات لا يبقى مع امرأة كبيرة وهو شاب يبقى معها من سن 25 إلى بداية الوحي وعمره 40 سنة، ثم يبقي معها نحو 13 سنة

في زمن العهد المكي. فالرسول –عليه الصلاة والسلام- عاش مع امرأة واحدة ثيّب وكبيرة السن نحو 28 سنة . فهل من يطلب الجمال يكون ذلك حاله ؟؟ طبعا لا وألف لا .

رابعا: إن من ينظر في حياة النبي-عليه الصلاة والسلام- في جهاده ودعوته وتربيته لأصحابه وتكوينه لدولة الإسلام يتبين له قطعا أن قلبه لم يكن معلقا بالنساء أصلا وإنما من أجل دعوة الإسلام، ومن يكن قلبه معلقا بالنساء لن يستطيع أن يقوم بالأعباء التي قام بها محمد عليه -الصلاة والسلام- في دعوته وتكوينه لدولة الإسلام وجهاده للكفار من المشركين واليهود .

خامسا: إن الرسول-عليه الصلاة والسلام- عندما بدأ في تعديد زوجاته في العهد المدني كان عمره 53 سنة، وما بعدها، وهذا يعني أنه كان قد دخل في مرحلة الشيخوخة، وهذه المرحلة تضعف فيها القدرة الجنسية عند الرجل بشكل كبير جدا وهذا أمر ثابت معروف ، ومهما بقيت فإنها لن تكون كقوتها في مرحلة الشباب والكهولة. وبما النبي- عليه الصلاة والسلام-لم يعدد الزواج في سن الشباب والكهولة وإنما عدده في سن الشيخوخة فهذا يعني أنه لم يعدده طلبا للنساء الجميلات ولا للشهوة الجنسية وإنما عدده التزاما بالإسلام تشريعا ودعوة، وربطا بين القبائل وبين أصحابه أيضا، ولتهيئة بعضهن ليكن من بعده عالمات ينشرن علوم الكتاب والسنة كما هو حال عائشة –رضي الله عنها . علما بأن زواج النبي-عليه الصلاة والسلام بأكثر من أربعة كان بأمر من الله تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً (الأحزاب : 50)). فالنبي-عليه الصلاة والسلام- كان مطبقا لما أمره الله به ولم يكن طالبا للنساء الجميلات، ولو كان طالبا لهن لطلبهن عندما كان شابا قبل ان النبوة أو عندما كان كهلا في مكة وعرضت عليه قريش أن تعطيه ما يحب من الدنيا ويترك نبوته ودين الإسلام ، فلو كان طالبا لهن لطلب من قريش نساء قريش الجميلات، لكنه لم يفعل ذلك .

السؤال الرابع، قالت السائلة: ((لماذا عندما قُتل زوج صفية ، الرسول وضع عليها الرداء وقال: هذه لي ؟)).

أقول: إن صفية بنت حيي بن أخطب – زعيم اليهود- كانت ثيبا ولم تكن بكرا، وكان زوجها وأبوها وأخوها قد قتلوا في فتح خيبر وقد اختارها النبي رحمة بها ومن أجل الدعوة الإسلامية بدليل أنه لما اختارها خيرها بين ((إطلاق سراحها وإلحاقها بقومها إن أرادت البقاء على يهوديتها، وبين الزواج منه إن أسلمت، فقالت له: "يا رسول الله ، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني .. وخيرتني بين الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلى من العتق ومن الرجوع إلى قومي" .. فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، وجعل تحريرها من الأسر هو مهرها))[4]. ولا

[4] سعيد أيوب: زوجات النبي-عليه الصلاة والسلام- ، ص: 101 .

شك أن زواجه بها باختيارها وبعد اسلامها هو دليل على صدق نبوة محمد- عليه الصلاة والسلام- وان اليهود كانوا يعلمون ذلك من جهة، وأن طائفة منهم آمنت به لتكون قدوة لغيرها من أهل الكتاب من جهة ثانية، وحجة على منكري نبوته منهم من جهة ثالثة ، وليُبين للناس بأنه رسول إلى الناس كافة . وبهذه المقاصد الشرعية والإنسانية يتبين لماذا اختار النبي-عليه الصلاة والسلام- صفية بن حيي- رضي الله عنها- لتكون من بين زوجاته .

السؤال الخامس، قالت السائلة: ((لماذا تزوج – الرسول- من زينب التي كانت زوجة زيد ؟)) .

أقول: ذلك الزواج تم بأمر من الله تعالى لتشريع حكم شرعي يحلل زواج الرجل من زوجة متبنيه إن طلقها ويُحرم التبني أيضا. وقد كانت قريش لا تفعل ذلك. ولو كان النبي- عليه الصلاة والسلام – يرغب في زينب لتزوجها مباشرة لأنه كان يعرفها وهي من أقاربه وما زوجها لمتبنيه زيد بن حارثة. وقد سجل القرآن الكريم تحرج النبي-عليه الصلاة والسلام- من أن يقدم على التزوج من مطلقة متبنيه زيد بن حارثة. فالأمر واضح جدا ولا لُبس فيه، وقد سجلها القرآن الكريم بقوله : ((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (الأحزاب : 37)).

السؤال السادس ،قالت السائلة: ((عدم وجود توافق بين الإعجاز والقرآن؟)) .

أقول: السؤال فيه غموض، لكني فهمتُ منه أن السائلة تريد أن تقول بأن القرآن وصف نفسه بأنه معجز، لكن مضمونه لا يتفق مع وصفه لنفسه بأنه كتاب معجز. بمعنى أن مضمونه لا يشهد بأن القرآن معجز.وإذا كان هذا هو المقصود فهو اعتراض غير صحيح لأن القرآن الكريم بشهادة التاريخ والواقع والعلم والعقل هو الكتاب المعجز الوحيد في العالم والذي تحدى الله به الإنس والجن ولم يستطع أحد الرد على تحديه إلى اليوم رغم كثرة الكفار وحرصهم الشديد على الرد عليه. ولا يوجد كتاب عادي ولا مقدس في العالم يتصف بصفة الإعجاز إلا القرآن الكريم.

ومن جهة أخرى فإن مظاهر إعجاز القرآن الكريم كثيرة جدا ومتنوعة : منها الاعجاز العلمي في مختلف العلوم، ومنها التاريخي، و التشريعي، واللغوي، والرقمي، وغيرها . فهو معجز بكل ما فيه . وقد صُنفت في ذلك كتب كثيرة جدا وأُنشئت هيئات علمية في مختلف بلدان العالم تخصصت في الاعجاز القرآن وأقامت الأدلة القطعية على التوافق التام بين وصف القرآن لنفسه بالمعجز ومضمونه الذي تضمن ذلك. كما أنها أثبتت التطابق الكلي بين معجزات القرآن وحقائق العلوم والتاريخ التي أظهرت صدق ما قاله القرآن بأنه معجز ومُهيمن ومُصدق لما بين يديه من الكتب التي سبقته. فتجلى أعجازها في التصديق والهيمنة معاً ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)(المائدة : 48))، وليس هنا مجال تفصيل ذلك[5].

[5] أنظر مثلا: كتابنا: معجزات القرآن من مقارنات الأديان ، الكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .

علما بأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد من بين الكتب المقدسة التي تتوفر فيه وتنطبق عليه الشروط التي يجب أن تتوفر في الكتاب الإلهي الحق[6]. وتجب الإشارة هنا إلى أن كثيرا من أعداء الإسلام يعملون جاهدين للتشويش على القرآن بسبب أعجازه العلمي والتاريخي وغيرهما فلما أزعجهم وأظهر زيف الكتب المقدسة الأخرى، ودخل في الإسلام كثير من الناس بسبب إعجازه شرعوا في التشويش على المسلمين وإثارة الشبهات حول الاعجاز القرآني . لكن جهودهم هذه كلها باطلة من الناحية الفكرية والعلمية حتى وإن أثرت سلبا على بعض الناس بسبب التزييف والخداع. لكن الحقيقة الثابتة هي ان القرآن الكريم حقا هو كتاب معجز تحدى الله به الإنس والجن. ولو استطاع الكفار قديما وحديثا الرد على القرآن لفعلوا ولأقاموا الدنيا ولم يقعدوها . فلما عجزوا عن ذلك قزموا الاعجاز القرآني وضربوا عنه صفحا وتناسوه وعملوا على صرف المسلمين عنه واتجهوا إلى إثارة الشبهات حوله. لكن جهودهم باءت بالفشل في معظمها وما يزال القرآن يتحدى الإنس والجن بمختلف أنواع إعجازه التي لا تنتهي فهي تظهر على استمرار دون توقف.

السؤال السابع، قالت السائلة: ((الوضوء جاء به زرادشت ؟)) . أقول: أولا، إن التطهر في الأديان القديمة من أجل القيام بالعبادات هو أمر ثابت ، وأصله من دين الله تعالى الذي جاء به كل الأنبياء قبل خاتمهم محمد- عليه الصلاة والسلام- فدين الله تعالى قائم على الغسل والتطهر، ووجود الوضوء في الإسلام هو امتداد لرسالات الأنبياء السابقين. ((شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)(الشورى: 13)).

ثانيا: ليس صحيحا أن الديانة المجوسية- الزرادشتية - تقوم على تعدد الآلهة– كان فيها الوضوء الإسلامي فهذا كذب وتحريف لأن الزرادشتية قبل الإسلام كانت لها ثلاث صلوات – عند الشروق، ومنتصف النهار، وعند الغروب- والتطهر في الزرادشتية كان يتم بمختلف انواع النجاسات كالبول – أبوال البقر والثيران والأغنام- . . إنها شرّعت لهم التطهّر بالنجاسة والأوساخ والجراثيم!! . من ذلك أنه ذكر أن زرادشت سأل إلهه أهورا مزدا عن وجود الأرض الطيبة التي تأتي الخامسة من بين الأراضي الطيبة فأجابه أهورا بقوله: ((هناك حيث تتبول فيها الأبقار والأغنام بكثرة-الفنديداد:3 /6-))[7]. وأمر المرأة التي تلد ميتا أن تشرب بول الثور مخلطا بالرماد لكي تطهر رحمها . وبعد ثلاثة ليالٍ تغسل جسدها وملابسها ببول الثور، والماء، -الفنديداد:51/5-[8].

ومن خرافات التطهر في الزرادشتية أنه ورد في الأفستا- كتاب الزرادشتية المقدس - أن زرادشت سأل إلهه أهورا مزدا عن : هل يمكن تطهير الثياب التي لامستها جثة كلب أو إنسان، وكيف يتم ذلك إن كان يمكن تطهيرها ؟. فأجابه : يُمكن تطهيرها، فإن

[6] أنظر كتابنا: نقض الخرافات القائلة بتأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس والأفستا الزرادشتي ، الكتاب منشور إلكترونيا .
[7] الأفستا : الكتاب المقدس للديانة الزردشتية ، ط 2 ، من إعداد وتحقيق خليل عبد الرحمن ،، ص:249.
[8] الأفستا : الكتاب المقدس للديانة الزردشتية ، ط 2 ، من إعداد وتحقيق خليل عبد الرحمن ،، ص:249.

وُجد على الثياب مني، أو دم، او وسخ، أو قيء يُمزق الثياب ويُدفن. وإن لم يوجد عليه ذلك يُغسل الثوب ببول الثور. وإن كان الثوب من جلد فينبغي غسله ببول الثور ثلاثة مرات، ثم يُفرك بالتراب ثلاثة مرات، ويغسل بالماء ثلاث مرات، ثم يُعرض على الهواء ثلاثة أشهر أمام نافذة المنزل .وإن كان من النسيج فيُغسل ببول الثور ست مرات، ويُفرك بالتراب ست مرات، ويُغسل بالماء ست مرات، ثم يُعرض على الهواء ستة أشهر أمام نافذة المنزل-الفنديداد:12/7، 15-[9]. وفي الفنديداد أمر أهورا مزدا زرادشت وأتباعه بغسل شعر الميت وجسده ببول الأبقار أو الأغنام – الفنديداد:13/8-[10]. وشرّع الأفستا لأتباعه أنه إذا اصطدم رجلان بجثة في غابة بمكان موحش ، فإن كانت الجثة ممزقة فليغسلا " جسديهما ببول الثور ثلاثين مرة "، وإن كانت لم تمزقها آكلات اللحوم فيجب عليهما أن " يغسلا جسديهما خمسين مرة"-- الفنديداد:98/8، 99-))[11] .

فالماء في الزرادشتية ليس وسيلة تطهير اساسية ولا له اهمية ولا أسبقية في ممارسة العبادات الزرادشتية ،و إنما النجاسة هي وسيلة التطهير الأساسية والمُفضلة والمأمور بها في الطهارة الزرادشتية، والمُتمثلة في ابوال بعض الحيوانات!!!!. هي: أبوال الأبقار والثيران والأغنام وغيرها من النجاسات فهي طاهرة ومُطهرة عند الزرادشتيين !!!! فهل هذا غسل ووضوء إسلامي ؟؟، وهل الوضوء الإسلامي مأخوذ من الزرادشتية؟؟. إن وضوء الزرادشتية وغسلها وتطهرها ليس وضوءا ولا تطهرا إنه وسخ ونجاسة ومرض وخبائث . ومن المعروف أن البول نجاسة وناقض للوضوء في الإسلام.أليس من يقول بأن الوضوء في الإسلام متأثر بالزرادشتية إما أنه جاهل، او كذاب مغرض صاحب هوى زعم ذلك لغايات في نفسه ؟؟. فأين التشابه بين الغسل والتطهر في الزرادشتية التي تتطهر بالأبوال وبين التطهر والغسل في الإسلام الذي يتم بالماء الطاهر والطاهور ؟؟!!.

وبذلك يتبين قطعا أن تلك الشبهة التي أثارتها الطالبة هي شبهة باطلة وزائفة أراد مختلقها أن يزعم بأن الإسلام تأثر بالزرادشتية واقتبس منها أمورا منها الوضوء. وهي تدل على جهله أو كذبه وعناده وتهافت قوله . والحقيقة هي أن الزرادشتيين فيما بين القرنين: 2- 5 الهجريين وما بعدهما هم الذين عدلوا دينهم وادخلوا فيه أمورا من الإسلام لغايات في نفوسهم ، منها: تحريم الزواج من المحارم، وتحديد أوقات الصلاة بخمسة ، وتحريم الخمر وغيرها ذلك كثير. وهذا أمر قد أقمتُ الأدلة القطعية على حدوثه في كتابي: تحريف الزرادشتيين للديانة الزرادشتية في العصر الإسلامي[12] .

السؤال الثامن، قالت السائلة : ((الكلام الذي نزل على الرسول ليس وحيا؟)).

أقول: اولا، من يقول بأن القرآن ليس وحيا إلهيا لم يأت بجديد ، فهو يكرر ما قالته قريش وغيرها من الكفار قالوا ذلك من دون دليل يُبت زعمهم ، وقد عجزوا أن يأتوا

[9] الأفستا : الكتاب المقدس للديانة الزردشتية ، ط 2 ، من إعداد وتحقيق خليل عبد الرحمن .، ص:286.
[10] الأفستا : الكتاب المقدس للديانة الزردشتية ، ط 2 ، من إعداد وتحقيق خليل عبد الرحمن .، ص:300.
[11] الأفستا : الكتاب المقدس للديانة الزردشتية ، ط 2 ، من إعداد وتحقيق خليل عبد الرحمن .، ص:315.
[12] الكتاب منشور إلكترونيا فقط، ويمكن التوسع أكثر في ذلك في كتاب: نقض الخرافات القائلة بتأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس والأفستا الزرادشتي ، الكتاب منشور إلكترونيا .

ولو بدليل واحد ليثبتوا انكارهم للوحي القرآني. وعليه فكل من يزعم ذلك من دون ان يقدم دليلا يثبت زعمه فلا قيمة له ومردود عليه ، والحقائق تُعرف وتُثبت بالأدلة والشواهد الصحيحة لا بالمزاعم والدعاوى والشبهات والأكاذيب.

ثانيا: إن القرآن الكريم بين أيدينا يتحدى الإنس والجن ويرد على كل الطاعنين فيه. ولم يستطع الكفار كلهم إلى اليوم ان يردوا على القرآن ولا أن يثبتوا فيه خطأ واحدا علميا ولا تاريخيا ولا لغويا ولا رقميا. وكل ما قالوه أوهام وشبهات زائفة ومتهافتة أشبعوا بها هواهم وتعصبهم للباطل. ومن جهة أخرى فإن القرآن تضمن مئات المعجزات في كل مجالات العلوم وهي مستمرة إلى اليوم ولا تنقضي . فالقرآن يتحدى بالعلم والمعجزات والكفار والملاحدة عاجزون عن الرد . مما يعني قطعا أن ذلك الزعم باطل.

وثالثا إن القرآن الكريم هو الوحيد الذي تتوفر فيه شروط الكتاب الإلهي، وأهمها خمسة شروط لا تنطبق على أي كتاب مقدس آخر، إلا على القرآن. وقد اوردتها وطبقتها على القرآن الكريم فانطبقت وتطابقت معه ولم تنطبق على الكتب المقدسة الأخرى. ذكرتها في كتابي: نقض الخرافات القائلة بتأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس والأفستا الزرادشتي ، والكتاب منشور إلكترونيا . وليس هنا تفصيلها فمن يريد ذلك فليرجع إليها.ومن عنده دليل يثبت به خلاف ما قلناه فليأتي به إن كان متأكدا مما يقوله . وأنا متأكد قطعا بأنه لن يستطيع الإتيان بذلك وقد سبقه إلى ذلك كثير من أهل العلم الضالين قديما وحديثا ففشلوا كلهم.ولو استطاع الإتيان بذلك اليهود والنصارى والملاحدة ما تأخروا عنه طرفة عين.

السؤال التاسع، قالت السائلة: ((من يشهد بوجود العقاب والثواب ؟)).

أقول: أولا، إن الله تعالى هو الذي يُثبت ويشهد على وجود العقاب والثواب في المعاد الأخروي، أخبرنا به بكتبه المنزلة على رُسله. لأنه سبحانه هو خالقنا ويعرف لماذا خلقنا ؟ وبماذا يُجزي الطائعين ويُعاقب الكافرين والعصاة ؟. ويحدد لنا الشريعة التي نعبده بها . وهذا أمر منطقي من دون شك .

ثانيا : عند غياب الوحي الصحيح أو في حالة الملحد الذي لا يُؤمن بالله فمع أن الدليل الشرعي يبقى قائما حُكما وقوة إلا أنه يُمكن استخدام العلم والعقل لنرجح وجود الحساب والعقاب ويحدث التوافق والتطابق مع ما حدده الشرع. فمن ذلك مثلا فإن المتدبر في الكون يجده خُلق من عدم ثم مر بمراحل تكونت فيه السموات والكواكب والنجوم والأرض، ثم لما تهيأت الأرض خلقت الكائنات على كثرتها وتنوعها وفي الأخير خُلق الإنسان فوجد الأرض مهيأة له بكل ما يحتاجه والكون مُسخر له . ثم في النهاية ينتهي العالم كله بكل ما فيه ينتهي كما بدأ. وهذه الحقيقة اتفق عليها العلم والشرع، فالكون لا بد أن ينتهي. فماذا يعني هذا ؟ ، ألا يدل ذلك على أن الكون خُلق أساسا من أجل الإنسان؟، وأن الإنسان خُلق لغاية كُلف بها ؟، وأليس تكليفه بتلك الغاية يشير إلى وجود معاد أخروي يُحاسب فيه مادام انه كُلف بمهمة ليقوم بها وُسخرت له من أجلها ما في السموات والأرض؟؟.

ومنها أيضا إن المتدبر في حياة البشر قديما وحديثا يجد أن حياة الظلم والانحرافات هي الغالبة في حياة البشر. وان كثيرا من الظلمة والطغاة ارتكبوا جرائم

نكراء في حق الأبرياء وأخذوا أموالهم بغير حق وماتوا ولم يَقتص منهم الناس. منهم مثلا طغاة قتلوا ملايين البشر ظلما وعدوانا كهتلر،ولينين ، وستالين، وبولبوت، وماوتسي تونغ . وفي مقابل هؤلاء أن عشرات الملايين من البشر ماتوا مظلومين ولم يأخذوا حقهم من الذين ظلموهم. وبما أن الأمر كذلك أليس من الواجب أخلاقيا أن يُقتص من هؤلاء الظلمة والمجرمون ؟، وأليس من الظلم والعبث أن يفلت هؤلاء من القصاص العادل؟؟. وأليس من حق المظلومين أن يُقتص لهم وأن يأخذوا حقوقهم؟ .وبما أن هذا لم يحدث في الأرض، وان الله تعالى هو خالقهم وأنه العادل والحكيم ، ألا يتطلب الأمر وجود معاد أخروي تُقام فيه المحكمة الإلهية، وبعدها يكون العقاب والثواب؟؟. وأليس عدم وجود هذا اليوم هو طعن في عدل الله وحكمته ؟، وبما أن الله عادل وحكيم أليس محاكمة هؤلاء أمر لابد منه ؟ . ومن كل ذلك يتبين أن المعاد الأخروي بما فيه من عقاب وثواب هو أمر آتٍ وثابت بدليل الشرع قطعا وبدليل العلم والعقل إمكانا وترجيحا .

السؤال العاشر، قالت السائلة: ((النظرية الداروينية ؟)) .

أقول: أولا ، تقصد الطالبة نظرية التطور العضوي التي تزعم أن الأحياء كلها ظهرت من أصل واحد هو الخلية الأولى ثم تطورت إلى أن أصبحت كائنا متعدد الخلايا ، ثم ظهرت مجموعات الأحياء التي نعرفها كالأسماك والبرمائيات والزواحف والرئيسيات إلى أن ظهر الإنسان في آخرها وكلها تطورت عضويا من بعضها ولم تخلق خلقا خاصا منفصلا منها الإنسان الذي تطور عن أشباه البشر حسب زعم التطوريين تم كل ذلك عبر العشرات من مئات الملايين من السنين حسب زعمهم.

ثانيا تلك النظرية هي في الحقيقة ليست نظرية أصلا فلم تصل هذه إلى درجة النظرية فهي فرضية ، بل ليست كذلك فهي بميزان العلم والشرع خرافة من دون شك. فقد ثبت علما وشرعا بطلان حكاية التطور العضوي، والأدلة على ذلك كثيرة جدا. وأما الأدلة الشرعية فهي صريحة بأن الله تعالى خلق أول إنسان- آدم- خلقا خاصا منفصلا، ومر بمراحل ترابية وليست حيوانية ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ثم أسجد له الملائكة. وهي كالآتي:

أولا: التراب ، قال تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ)(الروم : 20)). **ثانيا** :الطين (التراب + الماء) ، قال تعالى: ((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (السجدة : 7)) . **ثالثا:** الطين اللازب (وهو الطين الذي يلتصق باليد) ، قال تعالى: ((فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (الصافات: 11)) . **رابعا:** الحمأ المسنون (وهو الطين المتغير الرائحة) ،قال تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)(الحجر: 26)) . **خامسا:** الصلصال (وهو الطين بعد تيبسه) –، قال تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)(الحجر: 26)).**سادسا:** صلصال كالفخار (أي كالطين المطبوخ بالنار) ، قال تعالى:((خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (الرحمن : 14)).**سابعا:** نفخ الروح ، قال تعالى: ((فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ (الحجر : 29)).

وأما الأدلة العلمية فهي كثيرة من علم الحفريات ، وعلم الوراثة، والفيزياء، لكن ليس هنا موضع تفصيلها ، وقد فصلتها وشرحتها بإسهاب في كتابي: نقد العقل الملحد[13] لكن أذكر بعضها هنا من علم الحفريات فقط . لقد اثبتت الحفريات أن الأحياء المعروفة لدينا والتي انقرضت أيضا ظهرت فجأة من دون مقدمات تطورية في العصر الكمبري منذ نحو 550 مليون سنة ولم تتطور عن الأحياء وحيدة الخلايا. ومنها أنواع عاشت طويلا ولم تتطور ثم انقرضت ولم تترك خلفا. ومنها أنه رغم كثرة الأحياء التي انقرضت والتي بقيت ليست من بينها حلقات وسيطة تطورية تثبت التطور مما يعني ان التطور لم يحدث. ومنها أيضا أن أنواعا كثيرة من الأحياء ظهرت قبل عشرات الملايين من السنين وما تزال إلى اليوم من دون أن تتطور وبقيت كما هي إلى اليوم . مما يعني قطعا أنها لم تتطورن ولا حدث تطور للأحياء أصلا من جهة أنواعها ، منها الأحياء الآتية:

منها الديدان ، ظهرت قديما منذ الانفجار الكمبري – نحو 550 مليون سنة- لكنها لم تتطور وبقيت على حالها إلى اليوم، فلم يحدث لها تطور عضوي دارويني ولا موجه. من ذلك أن احد انواع ديدان المحيط لم يتغير لأكثر من 500 مليون سنة[14] . ومنها متحجرة ليرقة ترجع إلى 54-28 مليون سنة، وهي ماتزال موجودة إلى اليوم ولم يحدث لها أي تطور كما هو مبين في الصورتين الآتيتن[15]:



ومنها الحشرات ، فهي كائنات حية كثيرة العدد والتنوع، لكن ليس لها أي تاريخ تطوري[16]. منها حفرية ليعسوب قديم يرجع إلى 135 مليون سنة ، ولا تختلف عن اليعسوب الموجود اليوم، فلم يحدث فيها تطور دارويني ولا موجه ، كما هو مبين في الصورتين الآتيتين[17]:



إن يعسوب اليوم مشابه تماما للحفرية البالغة من العمر 135 مليون سنة الموضحة على اليسار.

---

[13] منشورا إلكترونيا ومتوفر بعدة مواقع في الشبكة المعلوماتية، ويُمكن تحميله بالبحث عن عنوانه.
[14] الموسوعة العربية العالمية ، مادة: المحيط .
[15] هارون يحيى: أطلس الخلق ، ج 1 ص: 309، 428 .
[16] 25 سببا لتشك في نظرية التطور (نقلا عن د. والت براون، مركز الخلق العلمي) ، مدونة لا للإلحاد ، على الشبكة المعلوماتية.
[17] هارون يحيى: هدم نظرية التطور في عشرين سؤالا ، ص: 141 .

ومنها حفرية متحجرة لخنفساء " أبو العيد "ـ تعود إلى ما بين: 11 ألف سنة إلى: 1،8 مليون ،وهي نفسها ما تزال موجودة إلى يومنا هذا من دون أي تطور، كما هو مبين في الصورتين أدناه[18]:



ومنها حفرية متحجرة لنملة مجنحة ترجع إلى 25 مليون سنة، لم تتطور ولا حدث فيها تغير، فهي تشبهه النملة المجنحة الموجودة في زماننا، فلا حدث لها تطور دارويني ولا موجه كما هو مبين في الصور الآتية[19] :



ومنها حفرية متحجرة لنوعين من الجراد: الأول لجرادة الزرع ترجع إلى 180 مليون سنة ، والثاني لجرادة عادية تعود إلى 92- 108 مليون سنة، وكل منهما يشبه جنسه الموجود الآن ، كما هو مبين في الصور الآتية[20]:



ومنها : متحجرتان لنوعيّن من الجمبري ، الأول يرجع إلى 146- 280 مليون سنة ، والثاني يعود إلى 70- 250 مليون سنة. وهما يشبهان تماما الجمبري- الروبيان-

[18] هارون يحيى: أطلس الخلق ، ج 1 ص: 137 .
[19] هارون يحيى: أطلس الخلق ، ج 1 ص: 224 .
[20] هارون يحيى: أطلس الخلق ، ج 1 ص: 309، 312 .

الموجود في زماننا، وهما دليلان قطعيان على بطلان خرافة التطور العضوي بنوعيه الدارويني والموجه، كما هو مبين في الصور الآتية[21]:





والأخيرة،حفرية لسمكة الرنجة تعود إلى 37- 54 مليون سنة، وهي تشبه تماما السمكة الرنجة الموجود حاليا، كما هو مبين في الصورتين أدناه[22]، فأين خرافة التطور العضوي بنوعيه الدارويني والموجه؟؟.




تلك الحفريات هي من باب التمثيل لا الحصر وإلا فهي بالعشرات، وتنفي قطعا خرافة التطور العضوي. فالتطور العضوي خرافة من خرافات الملاحدة والتطوريين عامة .

السؤال الأخير- الحادي عشر- ، قالت السائلة: ((طير الأبابيل ذُكرت قبل أن تُذكر في القرآن ، وُجدت رسومات في الحضارة البابلية)).

---

[21] هارون يحيى: أطلس الخلق ، ج 1 ص: 15، 375.
[22] هارون يحيى: أطلس الخلق ، ج 1 ص: 53 .

أقول: إن السائلة لم توثق شبهتها ، وقد بحثتُ عن مصدرها فيما يتعلق بتشابه حادثة طير الأبابيل في القرآن بحادثة وردت في رسومات بابلية فلم أجد له أثرا للتأكد منها ومعرفة حوادثها. لكن في كل الأحوال إن شبهة الطالبة تعني أنه من الممكن أن تكون قصة طير الأبابيل في القرآن متأثرة بما ورد عن طير الأبابيل الواردة في الرسومات البابلية، أو تكون منقولة منها . هذا الاحتمال باطل قطعا ولا أساس صحيح له شرعا ولا علما ولا عقلا ولا تاريخا، لأنه أولا: إن حادثة طير الأبابيل الواردة في القرآن الكريم هي حادثة حقيقية ثابتة قطعا حدثت في بلاد العرب عندما جاء أبرهة ملك الحبشة لهدم الكعبة المشرفة، وهي ثابتة بدليل القرآن والتاريخ ، وأصبحت حادثة مشهورة بين العرب وأرخوا بها كثيرا من حوادثهم عرفت بعام الفيل. وعندما تكلم عنها القرآن لم يكذبه الكفار من العرب المشركين واليهود ، وقد كانوا شديدي العداء للإسلام والقرآن والمسلمين وحريصين على إبطال القرآن الكريم ال\ي تحداهم وفضحهم وسفه عقائدهم ، فلو كانت الحادثة مكذوبة لأنكروا عليه ذلك ولوجدوا فيها دليلا دامغا لإبطال دعوة الإسلام ولتشكيك المسلمين في نبيهم ودينهم. ولو كانت الحادثة مكذوبة لانهارت دعوة الإسلام. وبما أن كل ذلك لم يحدث دلّ هذا على أن حادثة طير الأبابيل هي حادثة حقيقية حدثت فعلا في بلاد العرب في عام الفيل الذي ولد فيه النبي محمد –عليه الصلاة والسلام- مما يعني قطعا أن الحادثة ليست منقولة ولا متأثرة بحكاية طير أبابيل رسومات البابليين التي قيل أنها ذُكرت في رسومهم . وحتى إذا فرضنا جدلا أن الحادثة البابلية كانت حادثة حقيقية- وهذا لم يثبت- فنحن هنا أمام حادثتين متشابهتين في بعض جوانبهما ومختلفتين زمانا ومكانا وتفصيلا وغاية، ولا يُمكن أن تكونا متشابهتين ومتطابقتين تطابقا تاما. لأن الحادثة التي أشار إليها القرآن تتعلق بمحاولة ابرهة ملك الحبشة هدم الكعبة، وهذه حادثة فريدة من نوعها ولا مثيل لها في التاريخ. مما يعني قطعا أن الحادثة القرآنية ليست متأثرة ولا منقولة من الحضارة البابلية.

ثانيا: إذا فرضنا جدلا أن الرسومات البابلية تشابهت مع الحادثة القرآنية حول طير الأبابيل من جهة ذكر الطير الأبابيل ، بمعنى أنها ذكرت بأن الطيور كانت تظهر وتأتي اسرابا وجماعات متتابعة. فهذا أمر عادي تماما ومن المنطقي جدا أن نجده مذكورا في قصص الناس وأساطيرهم ، ومن الطبيعي أن نجد ألفاظا وأسماء وأوصافا متشابهة. كأن نجدها تذكر الصلوات، وعقاب الله للناس، وحدوث الكوارث الطبيعية، وافتراس الحيوانات لبعض الناس.فإن حدث ذلك فليس دليلا على ان القرآن تأثر بذلك ، ولن يكون دليلا إلا إذا ثبت التأثر أو النقل وهذا لم ولن يثبت .

ثالثا: وإذا افترضنا جدلا أن رسومات البابليين ذكرت حادثة عقاب او كارثة أصابت الناس من بينها ظهور طيور ألقت عليهم حجارة أو دما ، فهذا ليس دليلا على انها أثرت في حادثة طير الأبابيل في القرآن .فهي سواء كانت قصة أسطورية او حدثت فعلا في زمن البابليين أو قبلهم ، فهي ليست دليلا على تأثر القرآن بها ، وإنما نحن أمام تشابه بين حادثتين مختلفتين زمانا ومكانا وسببا من جهة، فإنها تشهد من جهة أخرى على أن الله كما عاقب أبرهة بالطير الأبابيل كان قد عاقب أمثاله من الكفار بنفس العقاب أو ما يشبهه . وإن صح هذا فسيكون من الشواهد على الاعجاز

التاريخي في القرآن الكريم، فقد أخبرنا الله تعالى بأنه عاقب أقواما ودمرهم بكثير من أنواع العقاب بسبب كفرهم وظلمهم. كقوله تعالى: ((فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (العنكبوت : 40)) .
رابعا: إن مما يُبطل تلك الشبهة أيضا أن النبي محمدا- عليه الصلاة والسلام- كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولا كان في مقدوره ولا غيره من البشر في زمانه أن يطلع على ألواح ورسومات البابليين المكتوبة باللغة المسمارية والتي تعود إلى ما بين : 3500 – 500 ق م . فقد كانت حضارة البابليين مجهولة تماما زمن النبي-عليه الصلاة والسلام- وبقيت كذلك إلى العصر الحديث –القرن التاسع عشر وما بعده- عندما اكتشف العلماء آثار البابليين وتمكنوا من فك ألغاز وطلاسم اللغة المسمارية[23]. وبذلك يتبين قطعا بطلان القول بتأثر حادثة طير الأبابيل المذكورة في القرآن الكريم بما قيل أنه يوجد تشابه بينها وبين حادثة وردت في رسومات الحضارة البابلية.

وختاما لما قلناه في نقض تلك الشبهات والتساؤلات التي طرحتها الطالبة السائلة، أقول: ليعلم الإنسان ان الله تعالى كما أنه لم يعط للملحد دليلا صحيحا واحدا ينفي به وجود الله من ناحية ، وجعله غارقا في الأهواء والظنون والخرافات من ناحية أخرى، مقابل أدلة وجوده الكثيرة والقطعية؛ فإنه سبحانه لم يعط للكافرين والمشككين في نبوة محمد- عليه الصلاة والسلام- ولا دليلا واحدا صحيحا يثبتون به بطلان نبوته من جهة، وجعلهم غارقين في أهوائهم وشبهاتهم وخرافاتهم من جهة ثانية، مقابل أدلة صدق نبوته القطعية الكثيرة والمتنوعة.

وإنهاءً لما قلناه اورد هنا كلاما مفيدا نافعا يتعلق بحالة السائلة وأمثالها ، فأقول وبالله التوفيق: ((وأما بالنسبة لظاهرة الشك والحيرة بين أهل العلم في زمننا المعاصر فهي كثيرة بينهم ، نظرا للنزعة المادية المتطرفة المهيمنة على العالم، وانتشار حركات الإلحاد أيام المعسكر الشيوعي الذي كان يحارب الأديان والإيمان بالله وينشر الإلحاد بكل ما يستطيع . والشواهد على ذلك كثيرة من بين أهل العلم الذين عاشوا أزمات فكرية ونفسية انتهت بكثير منهم إلى العودة إلى الإيمان بالله عامة ودين الإسلام خاصة. منهم الباحثة الأمريكية اليهودية الأصل مريم جميلة، والدكتور مصطفى محمود ، وعبد الوهاب المسيري. ويوجد غيرهم من لم يكتب عن حيرته وشكه أثناء بحثه عن الحق فآثر عدم الافصاح عما حدث له ، لكن بعضهم تظهر عليهم بعض الملامح والشواهد التي قد تدل على تعرضهم للشك والحيرة في مرحلة من مراحل أعمارهم .
وقد لاحظتُ حالات من الشك والحيرة على بعض الطلبة وكلمتُهم وناقشتهم بعدما صرّحوا لي بما حدث لهم . وأرشدتهم وبينت لهم أمورا تنفعهم وتساعدهم على تجاوز هذا المرحلة الحرجة من حياتهم .

[23] أنظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة: الكتابة المسمارية.

والظاهر أن أكثر أهل العلم لا يتعرضون لمثل تلك الأزمات الفكرية والنفسية الحادة المصحوبة بالشك والحيرة والقلق طلبا لليقين. لكن يبدو أن غالبيتهم قد يتعرضون لذلك جزئيا في قضية من القضايا وتكون خفيفة وقصيرة المدة لقوة إيمانهم وطبيعة شخصيتهم، ونوعية القضايا التي حيرتهم وشككتهم.

وإنهاءً لما ذكرناه وتعليقا عليه أذكر التوجيهات والفوائد الآتية: أولا على المُصاب بمثل تلك الأزمات عليه أن يصبر ويبحث عن العلاج الصحيح فكريا ونفسيا، مع الحرص على عدم الاضطراب والقلق لأن الأمر قد يتطور ويصبح وسواسا قهريا ومرضا عضويا . وسيحدث الشفاء بحول الله تعالى بالعلم واليقين والصبر، فتزول الشبهات بالعلم واليقين وتُدفع الشهوات بالصبر والمجاهدة. وعلى المُبتلى أن يعلم أن ما أصابه يندرج ضمن سنة الله في البلاء والامتحان، وقد تطول المدة وقد تقصر فإذا كان أبو حامد الغزالي أزمته لم تدم طويلا فهناك من دامت أزمته عشرة سنوات فأكثر، ومنهم من أصابته مرتين: الأولى في مرحلة الشباب ، والثانية عاودته في الأربعينيات من عمره أو بعدها .

وثانيا على المُصاب بالشك والحيرة أن يكون قويا ولا يترك للقنوط طريقا إلى قلبه لأنه قد يُدمره نفسيا وفكريا. وعليه أن يجتهد في طلب العلاج بنفسه أو بمساعدة غيره حسب نوع وطبيعة أزمته، ولا يتركها حبيسة نفسه. ويحذر من الانطواء على النفس والانسحاب من المجتمع كلية ، فهذا قد يضره أكثر مما ينفعه .

وثالثا على المُصاب بالشك والحيرة أن يعلم يقينا أن نهايات الشاكين والحائرين ليست واحدة، وإنما هي حسب نوايا أصحابها ومناهجهم في البحث والاستدلال من جهة القوة والضعف والسلامة والدَّخَن. وليعلم أن المخلص في طلب الحق وفق المنهج الصحيح لن يخذله الله تعالى ، ولهذا قيل: إنما يعثر من لم يُخلص .فليحرص المُصاب على أن تكون نهايته مُشرقة لا مُحرقة.

ولذلك تبين من حالات هؤلاء المُصابين أن منهم من كان مُخلطا فظل كذلك حتى انتهي إلى الضلال المبين. ومنهم من كان مخلطا مضطربا ودخل في شك وحيرة مدة ثم استقر ووصل إلى الإيمان واليقين. ومنهم من كان مستقيما ثم اضطربت أحواله مدة ثم عاد إلى الاستقرار واليقين. ومنهم من كان مستقيما فاضطرب وظل ضالا إلى أن مات . ومنهم من كان عاديا ثم هجمت عليه الشكوك والشبهات ودخل في صراع معها ثم عاد في النهاية إلى الاستقرار لكنه لم يصل إلى اليقين الصحيح وإنما وصل إلى يقين زائف ومغشوش. ومنهم من كان كذلك لكنه وصل إلى الحق واليقين.

ورابعا على المُصاب بالشك والحيرة أن يُحدد سبب أزمته بدقة ووضوح ليطلب له العلاج المناسب. فإن كانت أزمته لا تتعلق بالشك في وجود الله تعالى، وإنما تتعلق مثلا بالنبوة، أو القضاء والقدر، أو بالصفات الإلهية ، فهنا يكون يقينه وتمسكه بالله سبحانه هو المنطلق الذي ينطلق منه ويتحرك عليه، فيطلب الحلول لنفسه ويعلم أن هذا يندرج ضمن سنة الله تعالى في الامتحان والبلاء والابتلاء لتمييز الناس

وتمحيصهم، فكما أنه سبحانه يمتحن الناس بالسراء والضراء، وبالصحة والمرض، وبالفقر والغنى وبالشهوات فكذلك سبحانه يبتلي بعض الناس بالشكوك والحيرة والشبهات. وليعلم المُصاب أن الأمر مهما طال سينتهي إلى الزوال والشفاء والاستقرار بحول الله تعالى،لقوله سبحانه: ((وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (الطلاق:2 - 3))، و((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)(العنكبوت: 69)) .

وإن كان سبب شكه وحيرته يتعلق بوجود الله تعالى لشبهة من الشبهات أو لأمر آخر فعليه هنا أن لا يضطرب و يجب عليه أن ينطلق من ثوابت صحيحة بحثا عن العلاج والجواب الصحيح لمشكلته الفكرية التي تُؤرقه . وهنا عليه أن يكون صريحا مع نفسه ، ويسأل أهل العلم عن الشبهات التي تُقلقه . لكن يحذر أن ينزلق وينحرف فكريا من جهة منهج الطلب الذي يعتمد عليه، فيجب عليه أن يبقى متمسكا بالعقل البديهي أولا وبالعلم الصحيح ثانيا ، فهما اللذان يعصمانه من الانزلاق والوقوع في جحيم الأهواء والشبهات والشهوات والخيالات ، والهلوسات والتلبيسات الشيطانية. لأن الشياطين تصطاد ضحاياها في مثل هذه الحالات النفسية والفكرية القلقة التي يكون فيها الإنسان ضعيفا مُضطربا فتهجم عليه بالشكوك والشبهات، فإذا اجتمعت عليه فقد تهلكه وتدمره والعياذ بالله. قال تعالى: ((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53))، و((وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)(الأنعام: 121))، و((شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)(الأنعام: 112)). وفي هذه الحالة عليه ان يعتمد أيضا على القرآن الكريم فهو حتى وأن كان شاكا فيه بحكم أنه يبحث عن الله تعالى فإن القرآن يتضمن براهين وحججا قطعية تقوم على البديهة والعلم الصحيح كقوله تعالى: ((امْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ)(الطور: 35 - 36))، هذه الحجة لا تُرد ولن يستطيع أحد إن ينقضها بالعقل أو بالعلم ومن يردها فهو يردها بالأهواء والظنون لا بالعقل والعلم، ومتى كانت الأهواء والظنون أدلة علمية يُعتمد عليها؟؟ . فعلى الشاك والمتحير أن يستفيد من حجج القرآن وبراهينه كما يستفيد من أدلة العقول والعلوم ، لأن القرآن ليس موجها للمؤمنين فقط، وإنما هو موجه لكل بني آدم ، فهو رسالة الله الخالدة الخاتمة الموجهة إلى الإنس والجن، والقرآن مملوء بخطاب الله تعالى للإنسان كمخلوق عاقل مُكلف . فلا بد على المُصاب بذلك أن يعتمد على العلم والعقل والوحي، هذه هي مصادر العلم لقوله تعالى : ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)(الحج : 8)). فعليه أن يعالج نفسه بحجج وبراهين القرآن الكريم كما يستخدم أدلة العقل الفطري والعلم الصحيح. وأدلة القرآن الكريم تمتاز بأنها تجمع بين مخاطبة العقل والقلب وإيقاظ الوجدان بطريقة فطرية قوية دامغة، كقوله تعالى: ((وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ

وَكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيماً)(النساء: 39))، و((يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ)(الانشقاق: 6))، و((يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ (الانفطار: 6 - 8)).

وأخيرا- خامسا- فليعلم المُصاب بالشك والحيرة أنه إذا أحسن علاج نفسه فإن تخلصه من أزمته ليس بالضرورة أن ترتفع عنه دفعة واحدة ليظفر باليقين، وإنما هي كالمرض فقد يُشفى منها دفعة واحدة، أو على فترات متقاربة ، أو قد تستمر مدة أطول تدريجيا كأنها فترة نقاهة. وليعلم أيضا أنه لو يُحسن التعامل مع حالته ويفوز في الامتحان فسينال جائزته في الدنيا قبل الآخرة. لأن الله تعالى سيرزقه الإيمان القوي، ويُجازيه بما صبر باليقين والثبات والاستقرار ، ويرزقه العلم الصحيح والقدرة على حل المشكلات الفكرية ويصبح نبراسا لغيره ومجاهدا في سبيل الله ضد دعاة الضلال والأفكار والمذاهب الهدامة))[24].

وبالله التوفيق والحمد لله أولا وأخيرا ، وهدانا الله وإياكم إلى الصراط المستقيم.

الأستاذ الدكتور خالد كبير علال
– الجزائر - رجب/ 1437- أفريل/ 2016-

[24] خالد كبير علال : نقد تجربة الشك واليقين عند ابي حامد الغزالي، دار كنوز الحكمة ، الجزائر ، ص: 15- 18 .